مركز سمت للدراسات
SMT Studies Center

صعود القوميين في البرلمان الأوروبي.. هل يهدد وحدة أوروبا؟

الإثنين, 1 يوليو 2019

قراءة خاصة 199

إن تعدد الأيدولوجيات ومعتقدات الشعوب قد أثرى الحياة السياسية ودعمها بالعديد من الأحداث، ويبدو أن صعود القومية والفكر القومي من الأحداث الهامة التي تواجه القارة الأوروبية في تلك الفترة، والتي تلقي بظلالها على مستقبل الاتحاد وتثير أسئلة هامة حول قضايا الهجرة وتقبل اللاجئين، وستفجر مفاوضات عدة بشأن رئاسة الاتحاد.

تعدد الأيدولوجيات ومعتقدات الشعوب قد أثرى الحياة السياسية ودعمها بالعديد من الأحداث، ويبدو أن صعود القومية والفكر القومي من الأحداث الهامة التي تواجه القارة الأوروبية

القومية.. تأصيل نظري

لقد بات واضحًا أن القومية هي واقع له وجود حقيقي وفعّال وتعبيرات صارخة تتجّلى في جميع مستويات الحياة. فمعظم الناس يعترفون بانتمائهم إلى قومية ما، ويقصدون من وراء هذا الإعلان أنهم يرون أنه ثمة قاسم مشترك يجمعهم مع غيرهم في وحدة القومية. وعلى الرغم من التميزات التي قد تفرّق بينهم وتقسّمهم إلى مجموعات اجتماعية متمايزة ومختلفة، مثل: الطبقة أو العقيدة أو الثقافة، فإنهم يؤمنون بهذا القاسم المشترك.(١)

وكباقي المصطلحات السياسية التي لا يوجد لها تعريف واضح ومحدد، إلا أننا يمكننا تعريف القومية بأنها حركة أيديولوجية، من أهدافها الوصول إلى الاستقلال والوحدة والهوية والحفاظ عليها؛ وذلك لمصلحة شعب يعتقد بعض أبنائه أنهم يشكلون بالفعل أمة، وأنهم سوف يصبحون أمة في المستقبل القريب، فالقومية لها أسس هامة تتمثل في عدة نقاط:

١ - تنقسم البشرية الى أمم، لكل أمة طبيعتها، وتاريخها مصيرها.

٢ - الأمة هي المصدر الوحيد للسلطة السياسية.

٣ - الولاء للأمة يعلو فوق كل ولاء.(٢)

محطات تاريخية

يقال إن خطاب القومية هو حديث متميز نشأ من التمرد البريطاني ضد النظام الملكي في القرن الثامن عشر، وصراعات النخب العالمية الجديدة ضد الاستعمار في القرن السابع عشر والثورة الفرنسية، وقد يختلف المؤرخون في اللحظة الدقيقة لميلاد القومية، إلا أن علماء الاجتماع أوضحوا أنها حركة أيديولوجية حديثة ظهرت في النصف الأخير من القرن الثامن عشر في أوروبا الغربية وأميركا.

ويبدو أن أحداث ومحطات تاريخية عدة قد ساهمت في نشوء النزعة القومية في أوروبا، ومنها:

١ - معاهدة "ويستفاليا" التي أدت إلى خروج العديد من الدول من عباءة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وتأسيسها لكيانها القومي.

٢ - الثورة الفرنسية التي نتج عنها تثمين الروح الوطنية وإيقاظها شعوريًا وسلوكيًا ضمن نواة القومية، بالإضافة إلى أنها جعلت الفرصة سانحة للقوميين لتعزيز كيانهم التوحيدي ضد شعار المواطنة العالمية.

٣ - الوحدتان (الألمانية والإيطالية): لا شك أن لهما دورًا هامًا أيضًا، حيث أدتا بدورهما إلى تعزيز الأفكار القومية التي استلهمتها من الثورة الفرنسية.(٣)

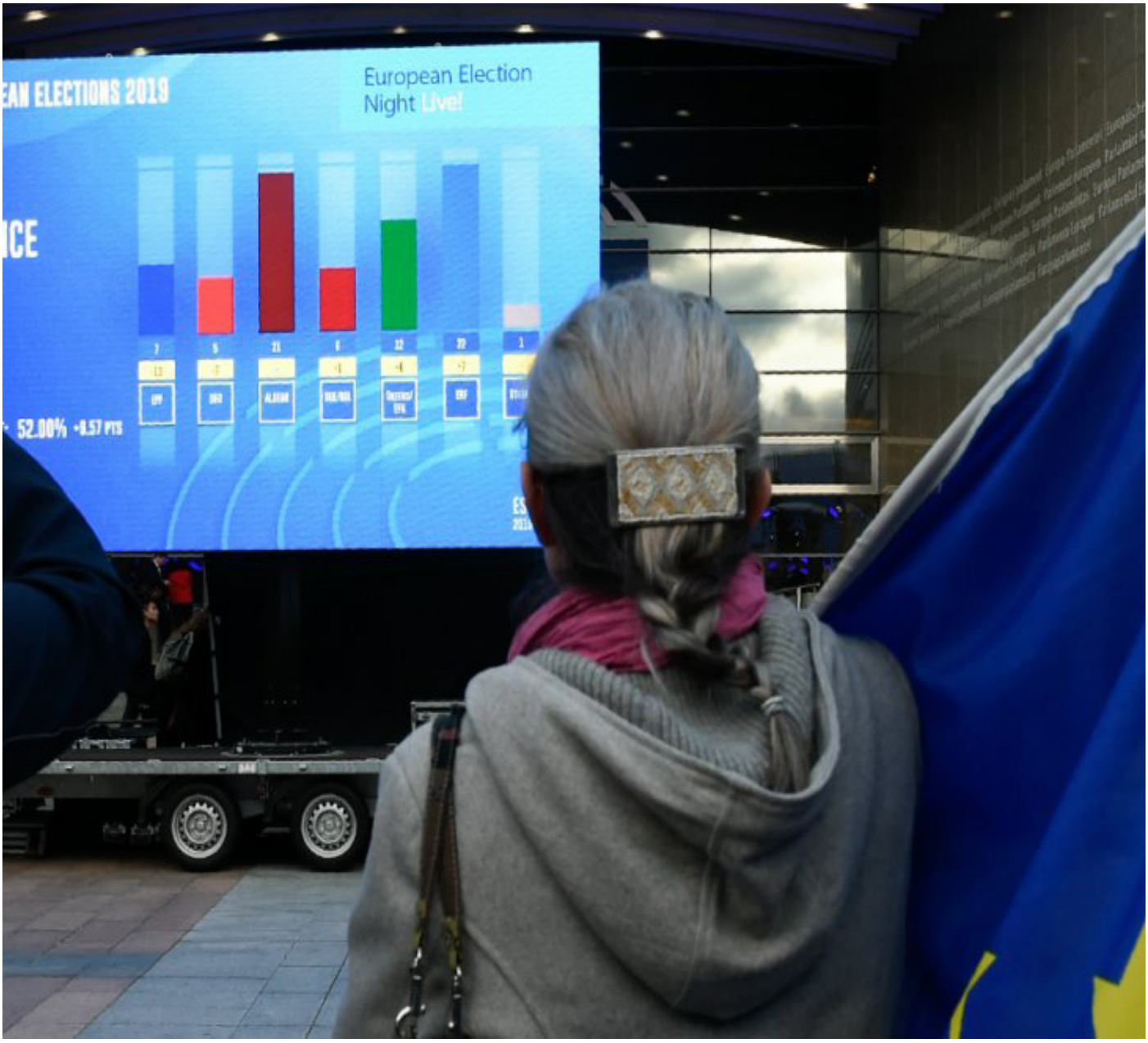

القوميون وصعود أوروبي

من الواضح أن مسألة بروز اليمين المتطرف والقوميين على الساحة السياسية الأوروبية، باتت إحدى أكثر الظواهر السياسية أهمية خلال العقدين الأخيرين من القرن المنصرم في أوروبا. إلا أن الظاهرة ليست على مستوى واحد في أوروبا، فإن كانت بعض الدول، مثل: فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا والنمسا، تواجه وضعًا يؤثر بعمق على نظمها السياسية، فإن دول أخرى على العكس، مثل: بريطانيا واليونان والسويد، ما تزال حتى الآن متجنبة هذا المد المتطرف، فضلاً عن كون أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا تشترك بعدد من الأهداف أو الشعارات المشتركة، مثل: معارضة الهجرة، ومعاداة الأجانب، وانتقاد الطبقة السياسية الحاكمة، إلا أنها تبدي في الوقت نفسه اختلافات - غير قليلة - تعوق أحيانًا تقاربًا على المستوى الأوروبي.(٤)

صعود التيار القومي في أوروبا بات واضحًا، ونستدل على ذلك من إحراز القوميين تقدمًا في كلٍّ من إيطاليا وبريطانيا وفرنسا وبولندا؛ وهذا من المحتمل أن يؤثر على الساحة السياسية في الداخل.(٥)

ومن هنا يبدو أن المكاسب التي تحققت للأحزاب القومية في إيطاليا وفرنسا وأماكن أخرى، تعني أن المشككين في أوروبا الذين يرغبون في كبح قوى الاتحاد الأوروبي، سيتمتعون بسلطة أوسع.(٦)

> صعود القوميين يلقي بظلاله على مستقبل الاتحاد الأوروبي ويثير أسئلة هامة حول قضايا الهجرة وتقبل اللاجئين، وسيفجر مفاوضات عدة بشأن رئاسة الاتحاد

صعود القوى القومية في البرلمان الأوروبي جعلها تحتل الترتيب الخامس بين الكتل البرلمانية الموجودة، إذ أصبحت كتلة "الهوية والديمقراطية" اليمينية القومية المعروفة سابقًا باسم "أوروبا الأمم والحريات" خامس أكبر كتلة في البرلمان بعد "الخضر" مباشرة.

ويؤكد ذلك حديث "مارين لوبان" رئيسة حزب التجمع الوطني الفرنسي، في مؤتمر صحفي: أن "هذه المجموعة (الكتلة) هي من الآن فصاعدًا أول قوة قومية في البرلمان الأوروبي".(٧)

ولعل حصول حزب القانون والعدالة (القومي المسيحي المحافظ) على ٢٦ مقعدًا في بولندا، هو مثال مضاف آخر على ازدياد صعود القوى القومية في أوروبا، إذ يعارض الحزب إعادة التوطين الجماعي للاجئين والمهاجرين "الاقتصاديين" في جميع أنحاء أوروبا، فضلاً عن أن بعض

السياسيين التابعين للحزب أدلوا بتعليقات مناهضة للهجرة ومعادية للإسلام لدى مناقشة القضايا المتعلقة بالهجرة.(٨)

نتائج وتوقعات مستقبلية

١ - انتخابات البرلمان الأوروبي تفتح الطريق أمام أسابيع وربَّما شهور من المفاوضات الصعبة بشأن من سيدير مؤسسات الاتحاد.

٢ - من المحتمل أن يسارع "سالفين" (نائب رئيس الوزراء الإيطالي) للاستفادة من النتائج التي حققها القوميون في بلاده وفي فرنسا وبريطانيا لتأسيس تحالف جديد تحت قبة البرلمان، يضم ١٢ حزبًا على الأقل، للتعبير عن التيار المتصاعد الطامح لكبح قوى الاتحاد الأوروبي.(٩)

٣ - تقدم اليمين المتطرف والقوميين في إيطاليا وبريطانيا وفرنسا وبولندا، من الوارد أن يؤثر على الساحة السياسية في الداخل، لكنه لن ينجح في إحداث تغيير جذري في توازن القوى مع المؤيدين للاتحاد الأوروبي داخل المجلس.

محطات تاريخية ساهمت في نشوء النزعة القومية في أوروبا

اختلف المؤرخون في اللحظة الدقيقة لميلاد القومية، إلا أن العلماء أوضحوا أنها حركة أيديولوجية حديثة ظهرت في النصف الأخير من القرن الثامن عشر في أوروبا الغربية وأميركا

- معاهدة "ويستفاليا" التي أدت إلى خروج العديد من الدول من عباءة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وتأسيسها لكيانها القومي.
- الثورة الفرنسية التي نتج عنها تثمين الروح الوطنية وإيقاظها شعوريًا وسلوكيًا ضمن نواة القومية.
- الوحدتان "الألمانية والإيطالية"، حيث أدتا بدورهما إلى تعزيز الأفكار القومية التي استلهمتها من الثورة الفرنسية.

٤ - على الرغم من أن صنع القرار سيكون صعبًا - على الأرجح - نظرًا لانهيار "ائتلاف كبير" بين تياري يمين الوسط ويسار الوسط، فإن النتائج تحمي الاتحاد الأوروبي من القوى المناهضة للمؤسسات التي تسعى إلى تفكيك أكبر تكتل تجاري في العالم.

٥ - يبدو أن الرافضين للمشروع الأوروبي، الذي واجه أزمات اقتصادية وأزمة لاجئين في السنوات الخمس الماضية، سيصبح ظهورهم واضحًا في مختلف أرجاء الاتحاد.

٦ - مناقشة مسألة الهجرة واللاجئين من المحتمل أن تكون من القضايا البارزة داخل أروقة البرلمان الأوروبي بعد سطوع نجم القوميين داخله.

٧ - من الوارد أن البرلمان الأوروبي سائر نحو طريق أكثر تفتتًا وغرقًا في تسويات ومساومات بين الأطياف والكتل، وهو ما يعني أن تهديد مستقبل الوحدة الأوروبية لا يزال بعيدًا.

٨ - من الواضح أنه من ناحية تبقى الأغلبية - على الرغم من خسائر الوسط - بيد أنصار ومؤيدي الوحدة، ومن ناحية أخرى يبقى انتصار أحزاب اليمين المتطرف (فرنسا وإيطاليا وبريطانيا) بسقف محدود، لما بين هذه الأحزاب من فوارق واختلافات تجعل مسألة توحيد الصفوف صعبة جدًا.

> بات واضحًا أن القومية هي واقع له وجود حقيقي وتعبيرات. فمعظم الناس يعترفون بانتمائهم إلى قومية ما، ويقصدون من وراء هذا الإعلان أنهم يرون أنه ثمة قاسم مشترك يجمعهم

المراجع

١ - الفصل الثامن من كتاب "في مواجهة أزمة عصرنا"، الحوار المتمدن.
https://bit.ly/2KpDrod

٢ - كتاب مستقبل الاتحاد الأوروبي في ظل تنامي النزعة القومية الوطنية، المركز الديمقراطي العربي.

٣ - المرجع السابق.

٤ - صعود اليمين المتطرف.. الأسباب والتداعيات: دراسة تحليلية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية.
https://bit.ly/2FikuiR

٥ - هيمنة أنصار الاتحاد تواجه صعود القوميّة في الانتخابات الأوروبية، هسبريس.
https://bit.ly/2Xn7zq7

٦ - انتخابات البرلمان الأوروبي ٢٠١٩: الكتل المُهيمنة تفقد أغلبيتها مع زيادة تمثيل الليبراليين والخضر والقوميين، بي بي سي عربي.
https://bbc.in/2RrYebb

٧ - تضاعف قوة اليمين في البرلمان الأوروبي، روسيا اليوم.
https://bit.ly/2ZiJEFQ

٨ - الانتخابات الأوروبية.. هل يؤثر صعود اليمين على سياسة الهجرة؟ دويتش فيله.
https://bit.ly/2RrFIjn

٩ - البرلمان الأوروبي في أزمـــة، الأهرام .
https://bit.ly/2L62WdB

خدمات مركز سمت